

الشرعية، واجتماع الامر، والنهي، والدلالات اللفظية وما اشبه ذلك من موضوعات لايمكن ان يضيف اليها الباحثون الجدد الا القليل، في حين ان مسائل اخرى اكثر اهمية ظلت مهمة في حوزاتنا، من قبيل التنمية الاقتصادية والتربية الاسلامية، وإضافة الى ذلك،وهناك تساؤل اخر: هل للاسلام اسلوب وطريق معينان لاسقاط الطاغوت واقامة حكم الله في الارض؟ لقد قدمت دراسات معدودة حول هذا الموضوع، بل حتى بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران، لم تصدر دراسة وافية وعميقة في هذا الشأن.



لو اتجهت الحوزة العلمية بهذا الاتجاه، لافادت العالم الاسلامي الكثير، ولو تأملنا الرواية الشريفة عن الامام الحجة عجل الله فرجه، وبالذات عبارة «واما الحوادث الواقعة...» لوجدناها واقعية في قوله :

«واما الحوادث الواقعة فارجعوا بها الى رواة احاديثنا»،فالمشاكل المستحدثة والجديدة، والقضايا التي لم تحصل سابقا، تحتاج الى استنباط كما قال الله تعالى: «واذ إذا جاءهم أمرٌ من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو رَدُّوه إلى الرِّسُولِ وإلى أُولي الأمرِ منهم لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْأَفْضَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ لَآتَيْتُمْ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلٌ» (سورة النساء/ 83)، فلااستنباط لايقون إلا في الامر الجديد وفي القضايا الحديثة التي تطرح لدول مرة، او القضايا التي نحن بحاجة ماسة الى تحديد حكمها.

■ **خامساً: الاهتمام بروح المبادرة** ينبغي ان نخلق قدوات صالحة للمجتمع، فالذي يؤثّر في الانسان، هو القدوة الحسنة لا الحديث والموعظة: «كونوا دعاة لنا بغير السنتكم»، كما يقول الحديث الشريف، ولاريب ان الحوزات والمعاهد العلمية كانت ناجحة في هذا المجال، ولكن ينبغي الاهتمام اكثر، كالاتهام بتزكية النفس والاخلاق الحسنة كالقواصي والتكافل وما شابه ذلك من امور، لو اهتمت الحوزات العلمية بها، فإن ثورة ثقافية بل موجة حضارية سوف تنبعث من تلك الاراضي المباركة التي احتضنت الحوزات العلمية، ومن اجل النجاح في هذا المسعى، لن نكون بحاجة الى قانون يصادق نواب البرلمان، انما نحن بحاجة الى ثورة تنبع من داخل الحوزات العلمية.

في كثير من الاحيان نجد انفسنا بحاجة الى حركة ذاتية، والى روح المبادرة،فالحوزات العلمية بحاجة الآن الى حركة جزرية ذاتية تتبع من ضميرها، وتسدد النقائص الموجودة فيها، اما اذا انتظرنا الآخرين لكي يأتوا الى الحوزات ويصلحوها، وعلى حساب استقلالها، فهذا ليس بالعلاج الجذري؛ لان استقلال الحوزات، اهم إرث وراثته الاجيال السابقة من فقهاءنا الاجرار ».

المصدر: مجلة الهدى/ وهي مجلة ثقافية تصدر عن دار الهدى للثقافة والاعلام

استقلالها.
■ **ثانياً: ضرورة تعميق الصلة بالقرآن الكريم والنصوص الدينية** ينبغي ان يكون الاتجاه في الحوزات والمعاهد الاسلامية على نحو الاتصال الاعمق والاقوى بالنصوص الشرعية، فنحن لا نريد ان نزرع انفسنا من واقعنا المتخلف لنعلقها في الفراغ، انما ننتشلها من هذا الواقع الفاسد، لنربطها بالواقع الحضاري المتكامل، وهو واقع القرآن الكريم وسيرة الرسول الكريم واهل بيته عليهم افضل الصلاة والسلام. علينا ان نتمثل سيرة نبيناﷺ واصحابه المخلصين وسيرة أئمتنا

العربية جمال عبد الناصر مع الاسلاميين في مصر؟! فأجاب الشيخ شلتوت: متبسمًا و ملوحًا باصابعه، القضية، فلوس!! فأجابه رجل الحوزة الشيعي قائلًا: وهذا هو الفرق بيننا وبينكم،نحن الشيعة، نوفر المال من بركات فريضة الخمس، ومنها نغطي حاجة حوزاتنا وطلابنا ماليًا، ونمنع تدخل الحكومات في شؤونا!

ولكن عاد الجدل بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران حول هذا الموضوع، فقد أوصى مؤسس الجمهورية الاسلامية الراحل آية الله العظمى السيد روح الله الموسوي الخميني بضرورة بناء الحوزة

الحوزات العلمية؛ مسؤولية التصدي والتجديد

الشيخ عبد الحسن الفراتي

ومناهجها المألوفة بعيدة عن الحكومة، وكذلك تأكيده على ربط موقوفات المذهب السني ومدارسه في ايران ضمن نطاق قانون الوقف، واستمرار صرف رواتبهم، ويرى بعض الفقهاء ان الوضع يختلف بعد انتصار الثورة الاسلامية.

بينما نقرأ رأياً آخر لأحد علماء الدين في ايران ففي معرض اجابته على سؤال وجه له من مجلة «البصائر» الفصلية عام ١985بشأن العلاقة الصحيحة التي ينبغي ان تقوم بين الدولة الاسلامية، والحوزة العلمية، وعلاقة علماء الدين بمؤسسات الدولة يقول سماحةآية الله العظمى الشيخ جعفر السبحاني ما نصه: «هذا السؤال كان من المنطقي طرحه قبل نجاح الثورة الاسلامية في ايران، أما بعد نجاحها فلا مجال لطرحه...! ان ان الحوزة العلمية تعد الان وفي ظل الوضع الجديد، جزءاً من الدولة الاسلامية، والذراع الفكري لها، خاصة اذا عرفنا ان الدولة الاسلامية يقودها فقيه اسلامي جامع الشرائط، وان نظام الدولة هو الاسلام، وهو يحتاج، خاصة في جملة مؤسساتها ومرفقها.. الى مختصين في العلوم الاسلامية كمجلس الشورى والقضاء وقسم الاعلام وغير ذلك).

اما سماحة آية الله العظمى الشيخ مكارم الشيرازي، فقد أخذ منحى آخر بالاجابة على نفس السؤال: «اننا نعتقد ان الحوزات العلمية ينبغي ان تكون دائماً مستقلة عن الدولة، حتى عن الدولة الاسلامية، وان تحتفظ بطابعها الشعبي، وهذا لا يحول دون اعداد العلماء والفضلاء لחרاز المناصب السياسية في الدولة الاسلامية».

■ **طلبة الحوزة وأموال النفط العراقي**

وبعد سقوط الصنم في العراق بتاريخ 2003/4/9 م وصياغة نظام جديد لإدارة الموقوفات والشؤون الدينية، بقي هذا الهاجس يراود الكثيرين،نظرا الى ان الاخوة في الوقف السني يعنون بمجمل الشؤون من الموقوفات والمزارات والمساجد وكذلك المدارس الدينية وطلابها. فيما انبرى الوقف الشيعي للاهتمام بشؤون المزارات والموقوفات دون الحوزات وطلابها، كون المرجعية الدينية في العراق احدى مقومات الامة وصمام أمانها، ولايمكن ربطها بدائرة حكومية.

غير ان وضع طلاب العلوم الدينية بقي كما هو عليه، فالطلبة في مدارس ابناء العامة يصلهم من واردات النفط العراقي، الى جانب ريع الموقوفات التابعة للوقف السني، بينما طلاب الحوزات العلمية حرموا حتى من كونهم فئة اجتماعية مستحقة كباقي الفئات من الحقوق والامتيازات، مثل توزيع الاراضي والضمان الصحي والاجتماعي، والمشكلة تكمن في الخشية من احتمال هيمنة الحكومة على شؤون الحوزة والتدخل في مناهجها وضرب

الاسلام فلا بد ان نهتم بهذه الحوزات والمعاهد الدينية، مستمدين منها القوة والتوجيهات والتعاليم لحياتنا؛ هذه التعاليم التي استطاعت عبرها المحافظة على جوهر الاسلام و روحه خلال تلك الانعطافات التي كانت في مسيرة المسلمين على امتداد الف واربعمائة عام، ففي خلال تلك التطورات الهائلة التي حدثت عن المسلمين، والانحرافات التي عزت ادمغتهم، كانت الحوزات العلمية تتحدى وتقاوم وتبلور النظرية الاسلامية الصحيحة، ومن ثم فانها كانت تحافظ على جوهر الاسلام.

المواكبة مع تطورات العصر

مازال يدور في خلد الكثيرين ضرورة تنظيم الحوزات وفق الاسس التي تتطلبها المرحلة الراهنة، مواكبة مع تطورات العصر وتقدم الزمان، ومنذ اكثر من خمسين سنة مضت، تتردد هذه الدعوة من قبل كبار العلماء ومازالت تتكرر مرات ومرات.

ومن هنا كان على كل منأوتي حظاً من الحكمة ونصيбаً من العلم، ان يُدلي بدلوه في هذا المجال، ويبيد خبرته وفكرته ورأيه بمايناسب واهمية هذا الموضوع عسى ان يتحقق باحسن وجه.

فقهائنا في الحوزات كانوا يصنعون المعاجز، او ما اشبه المعاجز في معالجةهم لأدق المسائل العلمية والفلسفية والفقهية والتشريعية والاصولية، ومن يقارن بين الفقه الاسلامي الذي تطور على ايدي فقهاءنا الاجلاء، وبين الفقه الغربي، يجد البون الشاسع بينهما، كما ان من يدرس علم النفس او علم الاخلاق عند علمائنا، يدرك ان فهم الغربيين في علم الاجتماع او النفس او العلوم الانسانية لايمكن ان يبلغ فهم علمائنا.

من هنا؛ فان اهتمامنا بتنظيم الحوزات العلمية لا يعني ايدا الانتقاص من قيمة هذه الحوزات، تجاهل دورها الكبير والفعال في تطوير العلم وفي الابتاء على جوهر الحضارة الاسلامية.

وهنا نود ان نشير الى بعض آفاق التجديد والتطوير في الحوزات العلمية:

■ **أولاً: الاستقلالية عن أصحاب النفوذ والثروة**

رغم ان هذا الافق، من الآفاق الاصلية والعميقة تاريخياً في عمر الحوزة العلمية، الا انه مازال ينبض بالحياة، ويخضع بين الفينة والاخرى للجدل والنقاش والدعوة الى اعادة صياغته وبلورته من جديد. ويكتسب أفق استقلالية الحوزات اهمية كبيرة، نظراً الى ان مرتكزات العلم والتفقه والبحث في هذه المؤسسة، ترتبط بشكل مباشر وشبه مباشر بكتاب الله المجيد وبصائر الوحي ومن هنا فان اي عامل سياسي او اقتصادي او ما شابه يمارس ضغطا على مناهج وسلوكيات الحوزة ورجالها، فهو بمنزلة ناقوس خطر قد يهدد الدين ومقوماته برمته.

أما على صعيد معاهدنا في عالمننا الاسلامي، فينقل آية الله الشهيد مرتضى المطهرىﷺ عن احد علماء ايران، الذي انتخب ضمن لجنة التقريب بين المذاهب الاسلامية، انه زار مصر بعد (ثورة يوليو) عام 1952 في مصر، ولدى دخوله الى مكتب امام الازهر الشريف الشيخ محمود شلتوت، تفاجأ برؤية صورة جمال عبد الناصر معلقة في غرفة امام الازهر، وفوق رأسه، فسأله: سماحة الشيخ...! كيف تعلق هذه الصورة وانتم و مقامكم الديني وما تعرفون من صراع زعيم القومية

وقنواتها، ومن ثم علينا ان نتعرف عليها من خلال هذه الخصائص والقنوات.
اذ لا يمكننا ان نجزئ حضارة قامت على اساس رسالات الله تعالى، فنأخذ منها بعضا ونترك البعض الآخر، او نلتزم بمحتواها دون الحدود، كما لا يمكن اننعكس الامر فنتمسك بالظواهر دون المحتويات، ومن ابرز خصائص الحضارة الاسلامية، هذه الحوزات العلمية التي لا ندعي انها التطبيق الوحيد لتعاليم الاسلام والافتراض الوحيد لاحتواء التعاليم، كما اننا لسنا ممن ينسب الكفر الى المعاهد والجامعات الاكاديمية، اذ ليس من مذهبنا

التكفير واتهام الناس بالنفاق، بمجرد ان يخالفوا آراءنا او سلوكنا وطرقنا، فالاسلام دين السماحة، كما لا يجوز ان نحلل ونحرم حسب اهوائنا، فمن أعظم الذنوب ان ننسب حكماً الى الله تعالى، ونفتري عليه ما لم ينزل به سلطاناً.

ومع ذلك فان ما نستوحيه من مجمل تعاليم الاسلام وسيرة الرسول الكريمﷺ واهل بيتهﷺ، هو ان الحوزات العلمية تمثل الوعاء الافضل لهذه التعاليم، والتطبيق الانسب لها، وان خريجي هذه المراكز المباركة قد نالوا الحظ الاوفر من الروايات الشريفة على لسان المعصومين عليهم السلام.

عن ابي عبد الله الصادقﷺ: قال: قال رسول اللهﷺ: (من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة، وان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضى به، وانه يستغفر لطالب العلم من في السموات ومن في الارض حتى الحوت في البحر، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر النجوم في ليلة البدر، وان العلماء ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ولكن ورثوا العلم، فمن اخذ منه اخذ بحظ وافر).

وعنه عليه افضل الصلاة والسلام: (انظرو علمكم هذا عمن تأخذونه، فان فينا اهل البيت في كل خلف عدولا ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين). وبالطبع، لا ندعي ان هذه المعاهد والحوزات الدينية منزهة عن الاخطاء والنقص وانها قد بلغت الكمال المطلق، ولانها على اية حال تمثل ارادة الانسان، ومن هنا انبرت الروايات الشريفة لوضع الشروط والحدود واصلاق التحذيرات ممن يدعي العلم والدين.

عن محمد بن يعقوب، عن علي بن ابراهيم، رفعه الى ابي عبد الله الصادقﷺ انه قال: (طلبة العلم ثلاثة فاعرفهم بأعيانهم وصفاتهم، صنف يطلبه للجهل والمراء؛ وصنف يطلبه للاستطالة والختل؛ وصنف يطلبه للفقه والعقل.

فصاحب الجهل والمراء مؤذ ممار، متعرض للمقال في اندية الرجال، يتذاكر وصفة الحلم، قد تسربل بالخشوع، وتخلّى عن الورع، فقد الله من هذا خيشومه، وقطع منه حيزومه، وصاحب الاستطالة والختل، ذو خبٍّ وملقٍ، يستطيل على مثله من اشباهه، ويتواضع للانبياء من دونه، فهو لحوائهم هاضم، لدينهم حاطم، فاعمى الله على من في هذا خبره، وقطع من آثار العلماء اثره. وصاحب الفقه والعقل ذو كآبة وحزن وسهر، وقد تحنك في بُرنسه، وقام الليل في حندسه، يعمل وبخشى، وجلًا، داعياً، مشفقاً مقبلا على شأنه، عارفاً باهل زمانه، مستوحشاً من أوثق اخوانه، فشد الله من هذا اركانه، واعطاه يوم القيامة امانه.

من هنا؛ اذا اردنا ان نجدد حضارة

اذا اردنا ان نجدد حضارة الاسلام فلا بد ان نهتم بالحوزات العلمية والمعاهد الدينية، مستمدين منها القوة والتوجيهات والتعاليم لحياتنا؛ هذه التعاليم التي استطاعت عبرها المحافظة على جوهر الاسلام و روحه خلال تلك الانعطافات التي كانت في مسيرة المسلمين على امتداد الف واربعمائة عام.

بسم الله الرحمن الرحيم
تعيش امتنا الاسلامية آفاق التحدي الحضاري، ومع تنامي الصحة الاسلامية يزداد هذا التحدي عمقاً واتساعا.

فلا تزال آلة الحضارة الغربية الضخمة تواصل ضغوطها الثقافية، والاقتصادية، والسياسية وحتى العسكرية ضد الامة، وفي هذا الجو المحموم، تنصدر القضايا الاساسية قائمة الاولويات، ومن ابرزها البحث عن العلاقة بين الاصاله والانتاج.

ثم ان الغرب بهجماتنه المستمرة ضد الاصاله، شجع ويشجع المسلمين على الانطواء والانكفاء، ذلك لانهم يخشون ان تذهب تلك الهجمات بشخصيتهم المتميزة وتذوبهم في مصهرة الحضارة الحديثة.

وفي ظروف مشابهة، حيث كان المسلمون قد تعرضوا للهجمات الصليبية، ثم للعصارا التتري، انغلقوا على انفسهم وقاوموا أي تطور، بل و جمدوا حركتهم الحضارية حفاظا على شخصيتهم، ولكن السؤال؛ هل يمكن للمسلمين ان يفعلوا اليوم، ما فعله أسلافهم بالأمس، كما يحلو للبعض، حيث يبالغون في تكريم السلف الى حد التقديس، ويتشبهون بتقاليد الماضي الى حد الجمود؟ وبالمقابل؛ هل يمكن ذلك في هذا العصر المجنون في تطوره والعملاق في قوته التقنية والعملية، والنافذ في اغرائه وارهابه؟!

■ **الحوزات والمعاهد/الدور المفصلي** ويأتي الحديث عن المعاهد والخَوَازت العلمية، لتعاطم تأثيرها في الحياة بعد ان تفاعلت أكثر من اي يوم مضى، مع الظروف وتصدت لقيادة الامة في أكثر من بقعة. وقد تميزت المعاهد والحوزات العلمية بالامالة حيث تخصصت في فقه الشريعة الاسلامية والعلوم التي تتصل به. وفي الظروف الصعبة التي مرت على الامة بعد تعرضها لهجوم غربي شامل، وقف العلماء ومن ورائهم الحوزات العلمية، يخذودن عن حرمت الدين كالطود الشامخ، حتى انحسر الهجوم وعادت الامة الى وعيها وشخصيتها.

وفي ذلك اليوم كانت الحاجة الى الاصاله أكثر من الحاجة الى الانفتاح والتطوير، أما اليوم حيث قررت الامة النهوض من سباتها ودخلت معركة التيار الحضاري، فان على المدارس الاسلامية ان تقوم بدورها الريادي في وضع البرنامج الرسالي الذي يواكب العصر واعطاء الزخم الحضاري اللازم لتنفيذ ذلك البرنامج.

وهكذا فان الحاجة الى التطوير والانفتاح على مكاسب ومعطيات العصر تزداد للقيام بهذا الدور، وكان لزاما على الحوزات العلمية، ان تقوم بدورين متكاملين: الاول: دور المحافظة على حدود الشريعة واصالة الامة، والثاني: تطوير الحياة وتنمية المجتمع، ومعروف مدى صعوبة الجمع بين هذين الدورين المختلفين، لكن ثراء تراث الامة ومرونة برامج الحوزات العلمية، كل ذلك كفيل بتجاوز هذه الصعوبة بعد التوكل على الله سبحانه.

وفي اطار فهم منطلقات المعاهد والحوزات العلمية، لايد من التأكيد على ان للحضارة الاسلامية خصائصها